الآداب
٤٤

أيّهما تختار ؟

يَبْدو أنّ العام الحالي (١٩٩٦) لن يُوَدِّعَنا إلاّ وقد عادَ إلينا جنوبُنا وجَوْلانُنا العزيزان.

فَمَرْحَى لقلبنا يعود إلينا... سيّداً عربيّاً، مِنْ دون عملاء ولا محطّاتِ إنذارٍ مبكّرة.

وَمَرْحى لأهلنا يعودون إلى بيوتهم، بعد أن كاد العُمْرُ ييبس على صليب الانتظار.

المفاوضون دَخَلوا في مفاوضاتٍ مع العدوّ منذ سنوات، وقد أعلنّا، غير مرّة، تحفُّظَنا على هذه المفاوضات من حيث المبدأ. وكانت مبرّراتُ ذلك التحفّظ أنّ المقاومة والانتفاضة كفيلتان بطردِ المحتلّ (مَنْ يذكُر، بالمناسبة، أنّ «إسرائيل» عَرَضَتْ غزّةَ على مصر قبل قيام «الحكم الذاتيّ الفلسطينيّ»؟)؛ وأنّ المقرّرات الدوليّة واضحةٌ بشأن وُجوب انسحاب «إسرائيل» مِن أرضنا بدون أدْنى قَيْدٍ أوْ شَرْطٍ؛ وأنّ مخزون المقاومة فَوّارٌ وإرادةَ التصدّي مازالت جبّارة (مَنْ يذكر مئات ألوف المشيّعين الّذين تحدّوا العدوّ و«الشرطة الفلسطينيّة» ومخابراتهما وحملوا جَسَدَ «يحيى عيّاش» على أكتافهم؟)؛ وأنّ «إسرائيل» لن تنسحب عن طريق السّلام إلاّ إذا حقّقَتْ بِهِ ما لَم تحقّقْه بالحَرْب: اعترافاً «عربيّاً» بشرعيّة عدوانِها، ومجالاً اقتصاديّاً لإنتاجها، وإجهاضاً قَسْريّاً للانتفاضةِ والمقاومةِ، وتمزيقاً وتفْتيتاً لِمَا تَبَقّى مِن أوَاصِرِ الجسد العربيّ الرسميّ المُهَلهَل.

ومع ذلك فقد كان للمفاوضين طريقُهُم، وكانَ للمقاومة طريقُها: قَتْلاً، واستشهاداً، وتصدّياً بالكلمة والموقف، للاحتلال ولمشاريعه القادمةِ بألف لَبوس ولبوس.

غير أنّ أخشى ما نخشاه أن يكونَ «السّلامُ» الجديدُ حَرْباً على المقاومة: مقاومةِ الصهيونيّة بالسّلاح، ومقاومتِها بالموقف... فيُعتَقَلَ المقاومُ والمجاهدُ في الجنوب، وتُكَمَّ أصواتُ المعارضة الثقافيّة للسّلام مع «إسرائيل» (بَلْ لوجودها أصلاً) عَبْرَ بَنْدٍ أوْ بنودٍ في معاهدةِ سلم عتيدة!

أيّة مفارقةٍ مُخزيةٍ ستكون هذه: أن تعودَ الأرضُ والسيادةُ والأحباب، وتُعتَقَلَ الحرّية!

وأيّةُ نهايةٍ مفجعةٍ وملتَبسةٍ ستكون عليها نهايةُ أحلامنا – نحنُ أبناءَ ساطع الحصري وقسطنطين زريق وحزب البعث وجمال عبد النّاصر وأنطون سعادة وغسان كنفاني ورئيف خوري –: أن تعودَ بعضُ أرضنا التي قاومتْ واستَبْسَلَتْ عُقُوداً طويلةً، وتُمنَعَ المقاوَمَةُ والكلمةُ المعارضَةُ مِن أن تُواصِلا نضالَهما مِن أجل استرداد الأرض العربيّة المحتلّة الباقية ومِنْ أجل إلحاق الهزيمةِ التّامة بالمشروع الصهيونيّ... هذا المشروع الذي تتعدّى أهدافهُ السيطرةَ على الجنوبِ والجوْلان لتطولَ تاريخَنا وذاكرتَنا واقتصادَنا ووجودَنا بُرمّتِه.

يهمّني في هذا الصدد أن أستشهد بمقالة حديثة للدكتور علي عقلة عرسان(*):

«... العدو الصهيوني مازال وسيبقى [حتى في حال توقيع سورية على اتفاقية سلام مع «إسرائيل»] – من وجهة نظر شعبية ووجدانية عربية – عدوّاً عنصرياً محتلاً للأرض متطلّعاً للتوسع بأشكال مختلفة، حتى لو انسحب من الجولان وجنوب لبنان، ووقّع على أوراق مكتوبة وممهورة بالأختام. ذلك أنّ فلسطين التي يقيم عليها دولةً معترفاً بشرعية وجودها عربياً، في هذا الزمن العربي الرديء وفي ظلّ اتفاقيّات الإذعان الكريهة المذلّة، هي عربيّةٌ تاريخياً ووجدانياً، من النهر إلى البحر ولم تتنازل الأمّةُ العربيّة عن التاريخ الذي يرتبط بالأرض، ولا عن الذاكرة والوجدان، ولا يستطيع أحدٌ أن يجبرها على هذا النوع من التنازل، تحت ضغط أيّ ظرفٍ من الظروف (...) [إنّي] أقول باستمرار الصراع وبضرورة استمراره لجملة من المعطيات... أذكر منها: أنّ الشعب العربي عامّة، ولاسيّما

---

* **الأسبوع الأدبي**، دمشق، ١٩٩٥/١٢/٢٨. وهنا أعرب عن تحيّتي الصادقة لموقف د. عرسان القوميّ المشرّف، رغم خلافي (الصحّي والديموقراطي) مع بعض استنتاجاته الواردة في مقالته المذكورة، وبغضّ النظر عن اعتراضي – في السنة الماضية – (وهو اعتراضٌ مازال قائماً) على قرار «اتحاد الكتّاب العرب» الذي يرأسه بفصل الشاعر أدونيس بسبب مواقفه «المؤيدة للتطبيع» (لتفصيل موقفي تُراجعَ افتتاحيّة **الآداب**، العدد ٣/٤/١٩٩٥).

الآداب
٤٤

جانبنا الضعيف

في سورية، لم ينسَ ولن ينسى الدمَ والشهداء والتضحيات الجسامَ التي قدّمها على طريق القضيّة القومية العادلة، قضيّة فلسطين، وهو يرفض أن تكون «إسرائيل» جزءاً من النسيج الجغرافي والأمني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي للوطن العربي، ولا يقبل أن يستقرّ القهرُ والعداونُ والاحتلالُ بدلاءَ شرعيين للحرية والأمن والاستقلال، للعدل والحق والكرامة، على جزء من وطنه التاريخي، وطنِ الآباء والأجداد، إلى أبد الآبدين...».

وشبيهٌ بهذا الموقف ما كان العماد مصطفى طلاس، نائب القائد العام للجيش العربي السوري ووزير الدفاع السوري، قد عبَّر عنه منذ شهور، وذلك في معرض تعليقه الطريف على قصيدة نزار قبّاني «المهرولون» (التي شبّههم بـ«فرقة دبّابات»)... حين أكّد على أن دور المثقّف يتعدّى دور السياسي الذي يضطر أحياناً للمساومة والتفاوض.

وليذكر المفاوضون العرب، هم أيضاً، أنّ السّلام الّذي سيبرمونَه مع «إسرائيل» لن يكُون سلاماً أبديّاً.. بل إنّ بعضَ أنظمتنا نفسها ستعود، عاجلاً أمْ آجلاً، إلى حالةِ الحربِ والعداء مع الكيان الصهيوني، ولوْ لأسبابٍ تتعلّق باحتكارِه لهذه السّوق الاقتصاديّةِ أوْ تلك. وإذّاك فإنّ أنظمتنا لن تَجِدَ، إنْ هي قمعتِ المقاومةَ والمعارَضَةَ الثقافيّة، إلاّ أشباهَ أحزابٍ عميلةٍ تابعة، وإلاّ أشباهَ مثقّفين كتَبَةٍ عاجزين عن تعبئةِ الرأي العامِّ العربيِّ لانعدام مصداقيّتهم انعداماً تامّاً. وستكون الهزيمةُ مضاعفةً، لأنّ الشعبَ المسحوق لن يمشي لقتالِ أعدائه القوميين، وهو مكبّلٌ وذليل... وهذا ما عبَّر عنه الكاتُب السّوريّ نبيل سليمان حين كتب في هذا العدد من **الآداب** الذي بين أيديكم: «إنّ التركيعَ هو السبيلُ الأمثلُ للتّطبيع»!

الجنوب... عال!

الجولان.. عال وعالان!

ولكنّ الحريّةَ أوْ عَدَمَهَا – لا الأرضَ والسيادةَ وحدَهُما – هما اللّذانَ سيعطيان لمقاومتنا في الماضي والحاضر (والمستقبل؟)، بل ولمفاوضتنا في الأزمنة كلّها، طَعْمَ النّصْر الحقيقيّ... أوْ مرارَةَ الهزيمَةِ المقنّعَة!

سماح ادريس

يُطرح هذه الأيامَ في لبنان موضوعُ الإعلام: المسموع والمرئي. والحجّة الظاهرة هي تنظيم الإعلام؛ غيرَ أنّ الخلفيةَ الحقيقية، كما رأتها الغالبيّةُ الساحقة من الصحافيين والمثقّفين، هي شدُّ الخناق على «الفَلَتانَ» الذي مازال لبنان يتمتّع به... وهو فلتان غيرُ مبرّر بالنسبة للمنطقة العربيّة القادمة على «استحقاقات جديدة» كما يزعمون! وعلى لبنان المشاغب، ومركز الثقل التوجيهي، أن يسير – بحسب منطق الدولة – على السراط الممدود، دونَ «عنترية»، ودون «تَرَف» الديموقراطية، و«خزعبلات» الأصوات المتعدّدة (إلا إذا كانت صوتاً لكل طائفة!). ولكنّ الشعب اللبنانيّ، الذي أدمن الحرية ومارسها حتى أصبحت جزءاً من تاريخه وكيانه وسلوكه، أعلن بلسان غالبية صحافييه وأدبائه ومثقّفيه عن رفضه أيَّ ضغط على حريّة تفكيره ومراقبة آرائه. وقد أقرّت هذه الغالبية بأنّ الحريّة قد تشوّه أحياناً، ولكن ذلك لا يبرّر لجمها أو احتواءها كما تبيّت السلطة.

وما يهمّنا، نحن بالذات، هو موضوع المجلاّت الثقافية وهذا الإعلام. فما وجه الربط بينهما؟ هل المقصود هو استيعابُ الثقافة وبوتقتُها في مجال الإعلام؟ وأيّ إعلام؟ هل هو الرسميّ؟ في هذه الحالة تصبح المجلات الثقافية، المنسيّة حتى الآن من اهتمامات الدولة (وبغضّ النظر عن كون هذا «النسيان» عاملاً سلبياً أو إيجابيّاً) إحدى الوسائل الإعلامية التي يستخدمها النظامُ الحاكم؛ وتصبح الثقافةُ إلزاماً مفروضاً وتوجيهاً آتياً من خارج ذاتها. وهذا الإلزام الإجباريّ يتنافى ومفهومَ الثقافة التي هي التزامٌ بالحرية النابعة من الذات، الذات الواعية، التي تستوعب قضايا الفرد والأمّة وتبلورها، مدركةً المسؤوليةَ الكبرى الملقاةَ عليها، كمرآة، وكضمير، وكمراقب، وكمحاسب. لمن؟ ربما لوسائل الإعلام الرسميّة ذاتِها؛ فقد يكون الإعلام الرسمي مُضلِّلاً، وقد يكون ظالماً أو قامعاً، أو هدّاماً، أو